



2026/9/16

استراتيجية دعم وتعزيز المُتعلّم المرتبطة بمتصل الخبرة "رؤية في أنثروبولوجيا التربية"

د. مها أسعد حمزة

● مقال رأي



استراتيجية دعم وتعزيز المُتعلّم المرتبطة بمتصل الخبرة: "رؤية في أنثروبولوجيا التربية"

سلسلة إصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط / قسم الأبحاث / الدراسات الاجتماعية

الصادر / مقال رأي

الموضوع / التعليم والمجتمع

د. مها أسعد حمزة/ باحثة وكاتبة في الأنثروبولوجيا

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركزُ مستقلٌ، غيرُ ربحيٍّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاص، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليل مستقلٍّ، وإيجاد حلول عملية جليّة لقضايا معقدة تهتمُّ الحقلين السياسي والأكاديمي.

ملحوظة:

لا تعبّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنّما تعبّر عن رأي كاتبها.

حقوق النشر محفوظة © 2026

www.bayancenter.org

info@bayancenter.org

Since 2014

يعمل مُتصل الخبرة (Continuity of Experience) كمُحرّك ضمني يمنح المنهاج الخفي (Hidden Curriculum) قوته واستمراريته في تشكيل سلوك المُتعلّم وترسيخ قيمه، حيث يُعبّر المنهاج الخفي عن تلك الدروس غير المكتوبة والقيم والاتجاهات والأعراف التي يتعلّمها الفرد من البيئة، سواء من (رياض الأطفال، المدرسة، البيت، جماعة اللعب أو المؤسسات الاجتماعية)، فإن متصل الخبرة يوضح كيف تتراكم هذه الدروس الضمنية عبر الزمن، وتتحول إلى جزء أصيل من بُنية الشخصية وطريقة التفكير، لترسم أسلوباً يسير عليه المُتعلّم وآلية تفاعل مع مُحيطه عبر تراكم المعارف وتكرار السلوك المُوجّه. فبين التراكم والتكرار اليومي ينشأ تأثير المنهاج الخفي، فهو لا يتشكّل من حادثة واحدة، بل من استمرارية الخبرة (Continuity)، فمثلاً تجربة الطالب اليومية مع نظام السلطة والانضباط الصارم داخل المدرسة تبني خبرة فوق أخرى، مما يُرسّخ لديه قيمة «الامتثال» أو «السلبية» كاستجابة تلقائية تُعيد تشكيل الاستجابة المستقبلية، فعليه يجب التعامل بحذر مع المُتعلّم ليتم تشكيل طريقة مُلائمة لديه لاستقبال الخبرات وضمان ترسيخها لتكون جزءاً من أسلوب حياة، مما يجعل المُتعلّم مُهيئاً لاستقبال الخبرة القادمة، وهكذا يُحدث مُتصل الخبرة وقعه في استقبال الخبرات. فإذا كانت الخبرة الخفية تتضمن التهميش أو عدم الاعتبار، فإن «متصل الخبرة» يجعل الفرد يدخل التجارب الجديدة بتوقع مُسبق للفشل أو الرفض.

يتفاعل الفرد مع المناخ الثقافي والاجتماعي للمؤسسة، وتتحول الظروف الخارجية، مثل (توزيع المقاعد، طريقة توزيع الموارد، أو نبرة

السلطة)، إلى خبرات داخلية تُعيد تشكيل دوافعه وقيمه دون تصريح مباشر من المناهج الرسمية، ولترجمة التداخل بين المفهومين واقعياً بتطبيقات عملية للخبرة الضمنية (المنهاج الخفي)، وأثره على قُتصل الخبرة عبر الزمن في المؤسسة التعليمية، وكيف أن المكافأة على الحفظ بدلاً من التفكير النقدي تقوم بتشكيل عادة التلقي السلبي، وضعف الاستقلالية الفكرية في الحياة المهنية لاحقاً، كما أن كيفية التعامل مع الطلاب المُعاقين داخل الفصل من قبل المُعلّم تُنمي فكرة عند الطلبة الآخرين في مُعاملة المريض كحالة مرضية، وليس كشخص مُتكامل، وبالتالي يتراكم الشعور بفقدان الاستقلالية (Depersonalization)، فضلاً عن كيفية تعامل الفرد مُستقبلاً مع مؤسسات الرعاية، وما ينعكس عليها من تراكم شعور الاعتلال والعجز، لما له من تأثيرات نفسية، فالاجترار يُسحب من التنشئة الثقافية (En-culturation)، ومنها البيئة المدرسية، وهكذا تتوالى الانعكاسات بما ترسخ من تلك البيئة الحاضنة في هذه المرحلة العمرية المُستقبلية لكل فكرة أو تصرف يُثير حواسها.

أما بما يخص بيئة العمل، فسوف يكون التزلف أقرب لمن نُنشئه بطريقة الخوف، بالحفظ والتلقين على حساب الكفاءة الفعلية وطرح الأفكار الجديدة بطريقة قائمة على ترسيخ قيم الثقة، من دون الخوف من ردود الأفعال التي قد تُعطل الإبداع والتفكير بصورة جديدة مُغايرة لسياقات القوالب النمطية التي جُهّزت مُسبقاً، فضلاً عن الخبرة التراكمية التي تُزيد الشك في قيمة العمل الجاد، وتغيير السلوك السائد لدى المُتعلّمين الجُدد والمُلتحقين فيما بعد في سوق العمل

في المُستقبل القريب.

يهدف الدعم والتعزيز إلى مُساعدة المُتعلّم في كُل مرحلة من مراحل النمو المعرفي على متصل الخبرة، ويُعد اختيار شكل الدعم أو التعزيز أمراً بالغ الأهمية لإيجاد توازن بين تحدّي قدرات الطالب وبين تقديم أشكال الدعم والتعزيز المناسبة له، فكلما زاد مقدار المساعدة التي يقدمها المعلم لطلّبه، كلما تيسّر لهم إكمال المهام التعليمية بنجاح، وكلما كان العكس، كلما زادت صعوبة الأنشطة التعليمية بصورة قد تؤدي بالطلّبة إلى الإحباط وإلى التوقف عن إنهاء المهام؛ لأنها بهذه الحالة تكون أعلى من مُستوى استعداداتهم.

فتهدف بذلك استراتيجيات الدعم والتعزيز، في أشكاله المُختلفة، إلى أن تُكوّن سلاسل مؤقتة (temporary ladders) لمساعدة الطّلبة، كما أشرنا، على الوصول إلى نمو فكري منشود في أثناء رحلتهم على متصل الخبرة، بهدف تحديد النقطة الملائمة التي يكون عندها الدعم عبارة عن مجموعة من الأفكار التي يمكن أن يستعملها المعلمون لمساعدة الطّلبة في فهمهم للعلوم؟ وأن هذا يعني أن على المعلمين إدراك خططهم التدريسية في مجالس مجال المعارف التي تعتمد على التصريح والتقرير للمحتوى المعرفي، ومجال المعارف الإجرائية المُرتبطة بالمهارات التطبيقية، فإن الربط المُحكم بين عملية التعلم بما تتضمنه من أسس وقوانين، وما تقوم عليه من نظريات ونظم، وبين عملية التدريس ذاتها داخل الفصل، الذي يُحقق التكامل بين التنظير والتطبيق؛ من هنا علينا أن نصمم المواقف التعليمية بشكل يجعلها تشبه مواقف الحياة ذاتها، وأن نعمل على تكوين الاستجابات التي

تتطلبها المواقف في الحياة، وبالتالي نحقق عن طريق الاستجابات المهارات المطلوبة لنمو الفرد تربوياً، وأن عمل استراتيجيات الدعم والتعزيز جنباً إلى جنب مع نماذج واستراتيجيات التدريس الملائمة من قبل المعلم تُحدث تغذية راجعة تهدف إلى مساعدة المتعلم على النمو؛ لأنها محددة لتصحيح التصورات الخاطئة عن المحتوى المعرفي، وكذلك تسهيل اكتساب الطلبة للمهارات العملية من خلال تنويع الأنشطة وفقاً لحاجات الطلبة، بما فيها المتطلبات العقلية المتنامية التي تُقرّها الخبرات المنهجية، والتي يُستخدم منها منهاج الممارسة الذي يُنمّي لدى الطلبة القدرة الكبيرة على تخطي مشكلات الفهم للدروس التي يواجهون فيها صعوبة، ومنها المساعدة عبر الوسائل التوضيحية لتمكينهم من فهم المفاهيم والمبادئ التي يدرسونها أو يتعاملون معها، ويشترك المعلمون الذين يقدمون خبرات تعليمية من هذا النوع بخصائص أهمها:

1. يعملون بطريقة تعكس تلك التي يعمل بها خبراء مجال التخصص في بحثهم عن الإجابات؛ لكي يزدوا من معارفهم وفهمهم.
2. يعرفون جيداً اهتمامات طلبتهم وتطورهم العقلي والانفعالي وسماتهم البدنية ودافعيتهم وأنماط التعلم المفضلة لديهم، مما يساعدهم على التخطيط للخيارات الأنسب للطلبة والمفاضلة بينها.
3. ينسقون الحديث بين طلبتهم لإيجاد مجتمع يجمعهم يتعلمون من بعضهم فيه، وهذا يؤدي إلى أن تُحترم فيه، في البيئات

الصفية، آراء الطلبة، ويُشجّعوا جميعاً على إظهار ما قاموا بتعلمه.

4. في جميع مراحل الوحدات الصفية، يوفقون بين ما يقومون به من أعمال وبين حاجات طلبتهم؛ ففي بعض الأحيان، قد يقدمون قدراً إضافياً من التدريس أو النمذجة (modeling) أو الأمثلة؛ ليوّجّوها فهم الطلبة ومهاراتهم، بينما سيتوقعون في أحيان أخرى أن يعملوا بجد أكبر؛ ليقرروا متى وكيف يوجّهون هؤلاء المتعلمين لمستويات جديدة من التمرس في تفكيرهم وعملهم.

5. يُدرّسون عندما يجهلون أمراً ما، وما الذي يمكن أن يترتب عليه، ومع ذلك يملكون الرغبة في البحث مع الطلبة؛ ليحددوا الطريقة الفضلى للمعرفة، كما يدركون أنهم أيضاً يصبحون أكثر راحة في فهمهم لكيفية بناء المعرفة ليتمكنوا من تزويد طلبتهم بخبرات أغنى وأكثر معنى.

6. يدركون أن خبرات التعلم في أحد الأيام لا تفسّر كما قاموا بالتخطيط لها، لكنهم يمتلكون القدرة على مراجعة هذه الخطط مع طلبتهم لبدءوا من جديد.

بهذه الحالة، ووفقاً للعمل بهذه الطرق من قبل المُعلّمين، يصبح الطلبة أكثر شبهاً بالخبراء أو أكثر خبرة في عملهم وفق منهاج الممارسة، وقد يحتاج المعلمون إلى توظيف استراتيجيات المُتطلبات العقلية المتنامية (AID)؛ لكي يضمنوا نمواً عقلياً مستمراً لدى هؤلاء الطلبة، حتى في منهاج يتمتع بالغنى الداخلي والتعقيد الذي يتمتع

به منهاج الممارسة. وكما الحال مع منهاج المقررات الأساسية ومنهاج الارتباطات، فهناك بعض الطرق العامة لزيادة مستوى الصعوبة للطلبة ذوي المستوي المتقدم، تتناسب بشكل خاص مع منهاج الممارسة، وتتطلب هذه الطرق الأكثر تعقيداً أن يعمل الطلبة في مستويات أعلى من الخبرة، بدلاً من العمل على مستويات أساسية. فبواسطة مُتصل الخبرة وتفعيله في التربية والتعليم، تُبنى على الخبرات السابقة تطورات من الخبرات، والتي تكون تدريجياً من خلال مواقف وأنشطة جديدة.

المُقرحات التي نُقدمها لصاحب القرار لدعم وتعزيز المُتعلّم:

1. التحول من التلقين والامتثال إلى التفكير النقدي، من خلال إعادة هيكلة بيئة الممارسات اليومية بتفكيك «المنهاج الخفي» السلبي.
2. إلغاء أساليب التقييم المعتمدة حصراً على الحفظ، واستبدالها بنظم تقييم قائمة على حل المشكلات، والبحث، والمشاريع الميدانية.
3. إعادة صياغة بيئة التفاعل الصفّي، مثل إعادة توزيع المقاعد داخل الفصول (كالجلوس الدائري أو المجموعات) لتكسير نبرة السلطة المركزية للمعلم، وتأكيد بيئة الحوار التفاعلي.
4. ترسيخ قيم الدمج الإنساني الكامل بتدريب الكوادر التعليمية على النموذج الاجتماعي للإعاقة، لضمان التعامل مع الطلاب ذوي الإعاقة كأفراد متكاملين يمتلكون الاستقلالية والفاعلية،

وليس التعامل معهم كحالات مرضية تستدعي الشفقة، لمنع بناء شعور فقدان الذات والتهميش (Depersonalization) لدى الجميع.

5. تصميم المناهج وفق سُلّم متدرج ينقل المتعلم من مرحلة الدعم التأسيسي إلى مرحلة الاستقلالية التامة، بحيث لا يكون الدعم مفراطاً فيسبب الاتكالية، ولا معدوماً فيسبب الإحباط والتوقف.

6. اعتماد منهاج الممارسة (Praxis Curriculum) الذي يتم بواسطته ربط المعارف النظرية بالمهارات التطبيقية والإجرائية، وتصميم مواقف تعليمية تُحاكي مواقف الحياة الواقعية لإعداد المتعلم لمواجهة متطلبات سوق العمل بثقة ودون خوف من الفشل مستقبلاً.

7. تحويل دور المعلم من مصدر للمعرفة إلى باحث، بواسطة إعداد برنامج تنمية مهنية يُركز على بناء المعلم وتدريبه على المرونة والتراجع لتعديل الخطط الدراسية وفق حاجات الطلاب المُتغيرة.

8. خلق بيئة داخل المؤسسة التعليمية تُتيح للطلاب والمعلمين التعلم المتبادل، واحترام الآراء، وطرح الأفكار الجديدة دون خوف من ردود الأفعال القمعية التي تُعطل الإبداع.



لِدَوْلِيَّةٍ فَاعِلَةٍ وَمَجْتَمَعٍ مُشَارِكٍ

www.bayancenter.org

info@bayancenter.org
